

أضواء البيان

@ 209 _ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا . . .

فكل صيغ الخطاب هنا موجهة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قطعاً ليس مراد بذلك لعدم وجود والدين ، ولا أحدهما عند نزولها كما هو معلوم . . .

الثاني : أن يكون خاصاً به لا يدخل معه غيره قطعاً ، نحو قوله تعالى : { وَامْرَأَتُهُ مُّؤْمِنَةٌ } إِنَّ وَهَبَاتٍ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ . . . إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } . . .

والثالث : هو الشامل له صلى الله عليه وسلم ولغيره بدليل هذه الآية ، وأول السورة التي

بعدها في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

لَكَ تَدِيتَغِي مَرُوضَاتٍ أَرْزُوجِكَ } ، فهذا كله خطاب موجه له صلى الله عليه وسلم . . .

وجاء بعدها مباشرة { قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ } بخطاب الجميع { تَحْلِةَ

أَيْمَانِكُمْ } فدل أن الآية داخلية في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ

تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } ، وهذا باتفاق . . .

وقد بين الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، هذه المسألة بأقوى دليل فيها عند قوله

تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا } إلى قوله : { مُنْذِرِينَ إِيَّاهِ } . . .

وقوله تعالى : { إِذَا طَلَّاقْتُمْ النِّسَاءَ } . . . يشعر بأن كل المطلقات من النساء

يطلقن لعدتهن وتحصى عدتهن . . .

والإحصاء العدد مأخوذ من الحصى ، وهو الحصى الصغير كانت العرب تستعمله في العدد لأمتهم

، ثم ذكر بعض عدد لبعض المطلقات ولم يذكر جميعهن مع أنه من المطلقات من لا عدة لهن وهن

غير المدخول بهن . ومن المطلقات من لم يذكر عدتهن هنا . . .

قال الزمخشري : إنه لا عموم ولا تخصيص ، لأن لفظ النساء اسم جنس يطلق على الكل وعلى

البعض ، وقد أطلق هنا على البعض وهو المبين حكمهن بذكر عدتهن ، وهن اللاتي ينسن

والصغيرات وذوات الحمل ، وحاصل عدد النساء تتلخص في الآتي ، وهي أن الفرقة إما بحياة أو

بموت ، والمفارقة إما حامل أو غير حامل ، فالحامل عدتها بوضع حملها اتفاقاً ، ولا عبرة

بالخلاف في ذلك لصحة النصوص ، وغير الحامل بأربعة أشهر وعشر